ملتقى دولي: المدينة والتحديات الديمغرافية بجامعة 8 ماي 1945، قالمة

المحور1: الأسرة وقضايا الأسرة

عنوان المداخلة: **مدى تأثير طبيعة العزو السببي في المعاش النفسي للزوجين:**

قراءة في بعض العناصر المعرفية

أ/ بَهتان عبد القادر

جامعة محمد الصدّيق بن يحي، جيجل

ملخص: في دراستنا، نتساءل عن طبيعة، و أهم الإسنادات السببية المعرفية لدى الزوجين. ومن ثم عن مدى ارتباطها بأداء الزوجين خصوصا التي تؤدي بهما إلى التفاعل بعيدا عن الضيق.

في هذا الصدد وفي إطار المقاربة المعرفية نعتمد المنهج الاستقرائي لفهم طبيعة الاسنادات (العزو السببي) المعتمدة من قبل الزوجين ومدى تأثيرها على سلوكاتهما النفسية (معالجة المعلومات وتخطي الأزمات).

أظهرت أهم النتائج أن طبيعة العزو السببي يمكن جمعها فيما يدعى *بنموذج الإسناد المتداخل* (ما بين داخلي – خارجي، و مستقر-غير مستقر ، و شامل-نوعي) سيسم بتمييز الإسناد السببي عن عزو المسؤولية وعزو اللوم لدى الزوجين.

كلمات مفتاحية: *عزو سببي، معاش نفسي، سياق معرفي، زوجين*

L'impact de la nature de l'attribution causale sur le vécu psychique du couple : *lecture de quelques concepts cognitifs*

Résumé : Dans notre étude, nous nous interrogeons à la nature et aux attributions causales cognitives les plus importantes chez les couples. Et dans qu'elle mesure elles sont liées à la performance du couple, en particulier ce qui les amène à interagir loin de la détresse.

À cet égard, et dans le cadre de l'approche cognitive, nous adoptons l'approche inductive pour comprendre la nature des attributions (*attribution causale*) adoptées par le couple et dans quelle mesure elles affectent leurs comportements psychologiques (*traitement de l'information et dépassement des crises*).

Les résultats les plus importants ont montré que la nature de l'attribution causale peut être combinée dans le *modèle d'attribution combiné* (*interne-externe, stable-instable et globale-spécifique*) qui permettra de distinguer l'attribution causale de l'attribution de responsabilité et de l'attribution du blâme aux conjoints.

Mots-clés : *Attribution causale, vécu psychologique, contexte cognitif, couple*

The impact of the nature of the causal attribution on the couple's psychological experience: *reading of some cognitif concepts*

Abstract : In our study, we investigate the nature and most important cognitive causal attributions in couples. And to what extent they are related to couple performance, in particular what leads them to interact away from distress.

In this respect, and within the framework of the cognitive approach, we adopt the inductive approach to understand the nature of the attributions (causal attribution) adopted by the couple and to what extent they affect their psychological behaviours (information processing and crisis overcoming).

The most important results showed that the nature of causal attribution can be combined in the *combined attribution model* (*internal-external, stable-instable and global-specific*), which will make it possible to distinguish causal attribution from attribution of responsibility and attribution of blame to spouses.

Keywords : *Causal attribution, psychological experience, cognitive context, couple*

المحتوى

1. **تعاريف** 4
أ.الزوجان 4
ب.العائلة 4
ج.بداية الحياة الزوجية 4
د.عوامل الانسجام 4
ه.تطور أو تدهور الأسرة وفقا للمحيط الثقافي 4
-الدخول في المجتمعات الصناعية 5
-تراجع السلطة الأبوية وتقاسم المسؤوليات 5
-الخلافات الزوجية 5
-الطلاق 5
-عائلات مضطربة وأطفال مهمشين 6
2. **اللغة التواصلية والإسناد** 6
3. **معرفيات ومدركات الزوجين** 7
أ.العمليات المعرفية الأولى 7
ب.العمليات المعرفية الثانية 7
ج.الأنواع المعرفية الثالثة 7
4. **الاسنادات (العزو السببي)** 7
5. **نظرية العزو السببي** 7
6. **أسباب العزو السببي** 8
أ.البعد الأول: داخلي – خارجي 8
ب.البعد الثاني: مستقر-غير مستقر 8
ج.البعد الثالث: شامل-نوعي 8
7. **الإسناد التكيّفي الزواجي** 10
أ.إنحرافات سلوك أحد الشريكين 10
ب.سياقات سلوكات الشريكين 10
-السلوكات الزواجية الإيجابية 10
-السلوكات الزواجية السلبية 11
-سلوكات بعض النساء 11
ج.الرضى الزواجي 12
8. **مناقشة** 13
9. **خاتمة** 14
مراجع 15
الشكل1. 8

مقدّمة

اهتم الباحثون بالعزو السببي كوظيفة من الوظائف المعرفية القاعدية والعليا في علم النفس الزواجي. وكعملية معرفية اجتماعية له تأثير على تنظيم سلوكات الأفراد السوية واللاسوية. ويراها البعض (Bodenhausen & Morales, 2013) تؤثّر في السلوكات البسيطة والمعقّدة.

من أهم الدّراسات المهمة التي اهتمت بموضوع العمليات المعرفية في سيكولوجية الزوجين، نجد دراسة "لابارج"، و"لوسيي"، وسابوران" (2017) Laberge G, Lussier Y & Sabourin S والتي اهتمت بدور الانتباه الانتقائي، والمعتقدات، والاسنادات في ميدان علم النفس الزواجي. وهي الدّراسة التي اعتمدناها في بحثنا.

فقد أظهر المتخصصون أن تحليل الاختلافات فيما يسمى بـ "الإسنادات والمعايير (العزو السببي) يسمح بفهم المعاش النفسي، والعلائقي، والتفاعلات بين الزوجين بشكل أفضل. في المقابل، عدم تنظيم هذه العمليات المعرفية يؤدي إلى اضطرابات والفشل السيكولوجي للزوجين (على المستوى النفسي، والفيزيزلوجي، والعلائقي). أو كما يؤكّد البعض على الضيق الزواجي. (Baucom & al., 2015).[1]

من خلال بحثنا نتساءل عن طبيعة، و أهم الإسنادات السببية المعرفية لدى الزوجين. ومن ثم عن مدى ارتباطها بأداء الزوجين خصوصا التي تؤدي بهما إلى التفاعل بعيدا عن الضيق.

[1] كلما ذكر الباحث "بوكون" في كامل البحث، فهو ذكر من الباطن. أي من حلال دراسة "لابارج"، و"لوسيي"، وسابوران" (2017) Laberge G, Lussier Y & Sabourin S

1. تعاريف

أ. الزوجان

يشير مصطلح الزوجان إلى شخصين يعيشان معا أو يتصرفان معا. (Larousse, 2018) شخصان مجتمعان معا من خلال الزواج. لأنّه يوحدهما شعور مشترك أو مصلحة تقودهما إلى العمل بشكل متضافر.

ب. العائلة

قبل وجود الأطفال الزوجين لم يرتقيا إلى عائلة. هي مجموعة مكونة على الأقل من ثلاثة أفراد من دم واحد. ولو أنّه (في اعتقادنا) يمكن ضم الطفل أو مجموعة "الأطفال المتبنين". مجموعة شكلها الآباء وأطفالهم من نفس الدم أو "متبنين". وهي تثّل العائلة النووية، وامتدادها إلى الجد والجدة، والأخوال والأعمام، نعتبرها أسرة.

ج. بداية الحياة الزوجية

يعتمد الزوجان على جاذبية متبادلة منظمة حول الاهتمام والرغبة في التقارب تجاه شخص معين وعلاقة التعلق. (Simpson, Rholes, 2015) يشمل البحث عن شريك مثالي جوانب مختلفة: سمات الشخصية، والمظهر الجسدي، والصحة، والموارد، والعفة، والمعتقدات الدينية و / أو السياسية، والطموح، والذكاء، ومستوى التعليم، والانجذاب المتبادل) . (Guéguen, 2014)

سلط الباحثون (Shackelford et al., 2005) الضوء على ثلاث خصائص للشريك المثالي: الحب / الوضع والموارد، والاستقرار / الجمال والصحة، والتعليم / الذكاء، والرغبة في إنجاب الأطفال.

د. عوامل الانسجام

تعتمد العلاقات الصحية والدائمة على الاحترام واللطف والثقة والقبول والتواصل والمودة وحسن النية والتسوية والاعتراف ببعضنا البعض. (De Neuter & Bastien, 2007) يمكن أن يتطور التعلق وتمثيله بمرور الوقت ويعرض الزوجين للخطر. وبالتالي، يمكن أن يكون للتوقعات والتصورات والأفكار والعواطف والسلوكيات عواقب على علاقة الزوجين: لم يعد الشخص الآخر يلبي توقعات الفرد بالكامل. هذا هو الوقت الذي يمكن أن تنشأ فيه الصراعات. (Lussier et al., 2017)

ويبدو أن عاملي الصراع هما الجنس والمال. في الوقت نفسه، يبدو أن الوقت يلعب الحيل على العشاق: ما جذبنا في البداية يفقد تدريجيا جاذبيته بمرور الوقت ويمكن أن ينتهي به الأمر إلى الاشمئزاز، وحتى الكراهية. (Horney, 1978) عندما يتزوج الفرد، فإنه لا يعتقد أنه سيطور خصائص غير سارة أو أنه بمرور الوقت ستصب بعض الخصائص عيوبا.

ه. تطور أو تدهور الأسرة وفقا للمحيط الثقافي

تختلف تصورات ونماذج للزوجين، بناءا على ذلك يمكن وصف وشرح وتوقع أحداث الحياة المختلفة التي يمكن أن يكون لها تأثير على علاقة الزوجين.

في وقت مضى، كانت أدوار كل فرد من أفراد الأسرة محددة بشكل جيد إلى حد ما. يعمل الأب ويوفر احتياجات أسرته. ودور الزوجة هو الحفاظ على المنزل ورعاية الأطفال. ثم، مع سَّن ما يدعى بِـ (حقوق المرأة)، أعيد تحديد الأدوار. أراد أو أسند للآباء أيضا رعاية أطفالهم والبقاء في المنزل أثناء عمل زوجاتهم. (Capdeville, 2013)

- **الدخول في المجتمعات الصناعية**

في المجتمعات الغربية، كان المعيار الزوجي هو الأسرة النووية التي توحدها رابطة الزواج التي تعترف بها الكنيسة و / أو الدولة. لفترة طويلة، تزوج الناس في أغلب الأحيان عن طريق الترتيب أو السبب، ونادرا ما يكون عن طريق الحب. في ق18، غير الحب الرومانسي الأمور: كان الزواج يصنع من الحب وليس من العقل. من خمسينيات القرن العشرين فصاعدا، أصبح الزواج تحالف عائلتين من أجل ضمان نزول وتوزيع الثروة حيث تم ربط العلاقة الحميمة والحب والجنس. (Hirigoyen, 2007)

- **تراجع السلطة الأبوية وتقاسم المسؤوليات**

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، فقد الأب تدريجيا وضعه كرب للأسرة. (Van Meerbeeck, 2003) لقد تحولت السلطة الأبوية إلى سلطة الزوجين: يتحمل الرجل والمرأة نفس المسؤوليات على طفلهما. فقد يؤدي هذا إلى خلط الأدوار. لم يعد الأب يمثل السلطة، أعيد النظر في دوره من خلال المشاركة بشكل أكبر في تعليم أطفاله. (Hallama, 2020)

- **الخلافات الزوجية**

يمكن أن تؤدي المعتقدات الخاطئة إلى مشاكل زوجية، لأن الزوجين يستخدمان هذه المعتقدات لتحليل المواقف وبدء السلوكات المنتظرة. إذا كانت المعتقدات خاطئة، فقد تكون سلوكات الزوجين مهدّدة بعدم التكيف. (Baucom & al., 1989)

الخلافات الزوجية نزاعات تحدث بين الزوج وزوجه، من شأنه قد تسبب صراعات بينهما، وقد يمتد إلى أسرهما بشكل سلبي، الأمر الذي يستوجب تكفل علاجي بهدف حل النزاع وبسط التوازن الانفعالي والتكيّف والاستقرار . هو اختلاف في رؤى الزوجين أدى إلى خلاف بسبب التواصل غير الفعّال.

لا توجد حياة زوجية من غير وجود مشاحنات أو مشاكل بين الزوجين، وقد توعز إلى عدم تحقيق التواصل الفعّال، ولا بد من أخذ مسافة عن هذا الضعف التواصلي بسبب إسنادات غير متقابلة.

ويتم "إصلاح" التواصل من خلال الفهم الإيجابي لكل العزو، لكيلا تصبح الحياة الزوجية مهددة بالفشل وعدم الاستمرارية. (Scott, 2020, p. 29)

أو ما يسميه البعض تعاونا بهدف إعادة التأطير الإيجابي للنقد و لتصحيح سلوكات الزوجين. بالنسبة للمعالجين، لا يعزون نكسات الزوجين إلى تفسيرات سلبية، بل تعتبر أسباب إيجابية وحميدة لفهم بعضهما البعض، وتقدما لتفادي النزاعات المشابهة. أو ما يدعى بـ: "***الإسناد النبيل***" (*Attributions nobles ; Ascriptions noble*)

- **الطلاق**

من الناحية الاجتماعية، الطلاق يعني الإنتهاء القانوني للزواج. (Larousse, 2018) لن يعيش الزوجان بعد الآن تحت سقف واحد. يمكن أن يشعر الأطفال بأنهم محاصرون في حالة الطلاق المتنازع عليه: يتعين عليهم أحيانا الاختيار بين الوالدين، مما قد يؤدي إلى تضارب في الولاء. (Drory, 2009)

يمكن حدوث الانفصال من خلال الطلاق بالتراضي أو الطلاق المتنازع عليه. يجب أن يحدد القاضي فسخ الزواج. يجب على الأخير الاستماع إلى كلا الزوجين وإعداد حكم عادل بين الطرفين. مع تحديد مقدار إعالة الطفل.

من أسباب الطلاق، قد نجد الاقتصادية، والخيانة الزوجية، وعدم الاحترام، والعنف، وسوء المعاملة، ونقص التواصل، والشبكات الاجتماعية، إلخ. (Coum, 2021)

أو بالأحرى ضعف الأنا في تسيير نزوات الهو لدى الزوجين، مقابل من يفرض السلطة، في هذا الصدد، نفترض بأنّ الطلاق هو نتيجة لتراكمات العزو السببي السلبي.

- **عائلات مضطربة وأطفال مهمشين**

عندما يكون أحد الوالدين أو كلاهما غير قادر على رعاية الطفل لأسباب متنوعة، يمكن وضع الطفل في رعاية الكفالة أو الحضانة. في هذه الحالة، لا يزال الوالدان يتمتعان بالسلطة الأبوية ويمكنهما زيارة طفلهما. هذا حل مؤقت إلى حد ما يتمكن الوالد من رعاية طفله مرة أخرى. (Samuel, 2009)

في حالة الوالد بالتبني يفقد الوالد البيولوجي حقوقه. في معظم الحالات، لا يمكنه رؤية طفله مرة أخرى. عندما يبلغ الطفل سن الرشد، يريد أن يجد آثارا لوالديه البيولوجيين. (Lemay, 1994) يصعب التعويض محل الآخر و توفير ما هو مفقود. (Loonis, 1995) وقد يعمل أفراد الأسرة الممتدة (الأجداد والعمات والأعمام) كبديل للعائلة. في التبني، وكذلك الدولة أو الوالدين هم الذين سيؤدون دور بدائل الأسرة بالنسبة للطفل المتبنى.

في هذا الصدد يشير التحليل النفسي على صعوبة التعويض النفسي، وبالتالي صعوبة تكوين ما يسميه "وينيكوت" Winnicott الأنا الحقيقي، وتستبدل بـ: "الأنا الوهمي".

2. اللغة التواصلية والإسناد

استخدام اللغة بصفة "طبيعية" أسلوب واقعي، وثقافي ويخضع إلى منطق معيّن. وما يسمى بالمنطق الاختزالي يفرض قطع واختزال وإحداث خلل وتشويش في وصف الموضوع، وفي روحه. هذا الاختزال يستهدف الاستصغار إلى أقل حد ممكن. ومن باب التواصل للمنطق الاختزالي له منطقا آخر، وهو منطق الإسناد: يحدد علاقة إسناد بين الموضوع والصفة (تسمى سمة). الصفة المنسوبة على هذا النحو (في المنطق، الوصف هو الذي يؤهل، لا أكثر) ثم تصبح سمة من سمات الشخص. نقول للشخص أنت مكتئب ... هذا الطفل يعاني من الرهاب...الخ

في علم النفس، يمكن أن تكون الآثار المترتبة على هذه الطريقة التواصلية سامة للغاية سيما للأشخاص الذين نتعامل معهم، وبالتالي تأتي بنتائج عكسية تماما. في علاقة الأم طفل، تكون قد نُسبت إلى الأم خاصية "الانصهار": - *الطفل هنا سيكون "ضحية" نتيجة السيطرة الانصهارية لهذه الأم. مثال: كون الأم ترفض العمل معي. يمكن أن ينسب الزوج لنفسه صفة معينة كالحياد* -

قد يضفي ما يدعى بـ " الإسناد السلبي" إلى التواصل الفصامي. عندما نلاحظ أنماط التواصل الخاصة بالفصام، سيبدو أنه يظهر صعوبات في التصنيف المنطقي للإشارات، بحيث يكون على ثلاثة مستويات:

- صعوبة في إسناد طريقة الاتصال الصحيحة إلى الرسائل التي يتلقاها من الآخرين ؛
- صعوبة تعيين طريقة الاتصال الصحيحة للرسائل، اللفظية وغير اللفظية، التي تنبعث منها ؛
- صعوبة إسناد الوضع الصحيح للتواصل إلى أفكار الفرد وأحاسيسه وتصوراته.

بمعنى آخر، يظهر "اضطرابا في القدرة على تحديد وتفسير تلك الفئة من الإشارات التي تخبرنا بنوع الرسالة التي تنتمي إليها الرسالة التي نتلقاها". (Bateson, 1977, p. 35)

3. معرفيات ومدركات الزوجين

توجد خمسة (5) أنواع من الإدراك التي يمكن ملاحظتها بين الأزواج في الديناميات الزواجية، حدّدتها الأدبيات العلمية وتتمثّل في العمليات المعرفية الخاصة بتقييم الشريك لحدث معين (Baucom, Epstein & Stanton, 2006). بحث يتم ذلك من خلال:

أ. العمليات المعرفية الأولى

- الاهتمام الانتقائي،
- التوقعات.

ب. العمليات المعرفية الثانية

مرجعية للوظائف المعرفية العليا -*اعتقدات عميقة*- التي تبني رؤية الشخص لمحيطه، والتمثّلات العقلية للذات، وللآخرين، وكذا التفاعلات الاجتماعية.

- التوقعات،
- المعايير

تشكل هذه العمليات فهما للبيئة الإجتماعية، بما في ذلك التجارب الزواجية. (Baucom & al., 2006)

ج. الأنواع المعرفية الثالثة:

هي التي تؤدي إلى تشكيل الإسنادات (العزو). أي سيرورة التفاهم والتخاصم تنطلق من هنا وتنتهي هنا.

4. الاسنادات (العزو السببي)

اهتمت العديد من الدّراسات بموضوع الإسنادات كعملية معرفية رئيسية (على سبيل المثال لا الحصر: Kelley & Michela, 1980). واهتمت أيضا بعض الدراسات الأخرى في سياق الحياة الزواجية (Baucom & al., 1989; Lussier, Sabourin & Wright, 1993)

يشير الإسْناد إلى وظيفة إدراكية أعلى تسم لأحد الزوجين بتفسير التبادلات مع شريك الحياة. للقيام بذلك، سيكون قادرا على استنتاج الأسباب المفسّرة لسلوك الآخر. وقد يرتبط الاستدلال السببي الناتج بطبيعة العلاقة، و بالخصائص الشخصية لشريك الحياة، و حتى بالشخص الذي يقوم بالإسناد (Baucom & al., 1989, 1995; Sabourin & al., 1993).

على سبيل المثال، قد تفهم المرأة، التي تنجب طفلا مصابا باضطراب طيف التوحد على أنّها هي السبب من خلال الرسائل الاتصالية المرسلة من قبل زوجها أو أهله. (مثل: بسبب أفعالك ربي أعطاك،...). وتكون استجابتها: (الاكتئتاب، ربما الخوف من الانجاب ثانية، القلق بسبب فقدان الدعم من زوجها،...).

5. نظرية العزو السببي

جاء بنظرية الإسناد السببي هايدر ، فريتز (1896-1988) Heider, Fritz، لقد اشتهر بعلم النفس العلائقي ما بين الأشخاص. يعتبر العلاقات الشخصية الأساس لتطوير تيار الإدراك الاجتماعي. بالنسبة لـ"هايدر"، قد يخضع الإدراك

الاجتماعي لنفس قواعد ولنفس بنيات التنظيم في الذاكرة مثل إدراك الأشياء المادية. نظرا لوجود تحيزات إدراكية للأشياء المادية (مثل الأوهام البصرية)، توجد تحيزات في الإدراك الاجتماعي (مثل تحيز الارتباط الوهمي، الذي يلصق المعلومات السلبية بمجموعات الأقليات). ومن هنا طور "هايدر" نظريته في الإسناد من خلال التركيز على الأسباب التفسيرية للسلوكات: "*يميل الأفراد إلى عزو الأسباب الشخصية إلى سلوك الآخرين بشكل أكثر إيجابية من الأسباب التي تفسرّها الظروف*". (Marmion, 2012, pp. 201–202)

6. أسباب العزو السببي

فيما يخص الأزواج، تؤكّد بعض الدّراسات عند البحث عن أسباب سلوكاتهما، وجود ثلاثة أبعاد رئيسية. (Abramson, Seligman & Teasdale, 1978)

أ. البعد الأول: داخلي – خارجي

يجعل من الممكن التمييز بين ما إذا كانت أسباب الأحداث تتعلق بخصائص الشريك (مثلا: "أرى شريك(ة) حياتي تعب بشأن ظروف ابننا"، " "أنا التي أجابه متاعب هذا الطفل وليس هو(هي)"). أو ما إذا كانت الأسباب منبثقة من الظروف المتعلّقة بالموقف والظروف (مثلا: "إصابة إبننا راجع إلى أسباب خارجية").

ب. البعد الثاني: مستقر-غير مستقر

ما إذا كان سبب الحدث متكررا أو يستمر بمرور الوقت (مثال، "إنه متأخر دائما") أو ما إذا كان عرَضيا أو عابرا (مثال، " مزاجه سيئ، لأنه مرّ بيوم عصيب").

ج. البعد الثالث: شامل-نوعي

هل السبب الذي يفسّر حدثا معينا له تداعيات على عدة أحداث أخرى، أو ما إذا كان يؤثّر فقط على حدث محدّد. حاول البعض أخذ بعين الإعتبار الأبعاد المختلفة للإسناد السببي من خلال اقتراح *نموذج الإسناد المتداخل*. هذه النمذجة ستسم بتمييز الإسناد السببي عن عزو المسؤولية وعزو اللوم. (Davey & al., 2001)

يوضح الشكل1 سلسلة الإسنادات التي تشكل عناصر هذا النموذج. أي أنّ الإسنادات السببية تسبق أحكام المسؤولية التي بدورها تفسر وجود اللوم.

الشكل 1: نموذج إسنادات متداخل

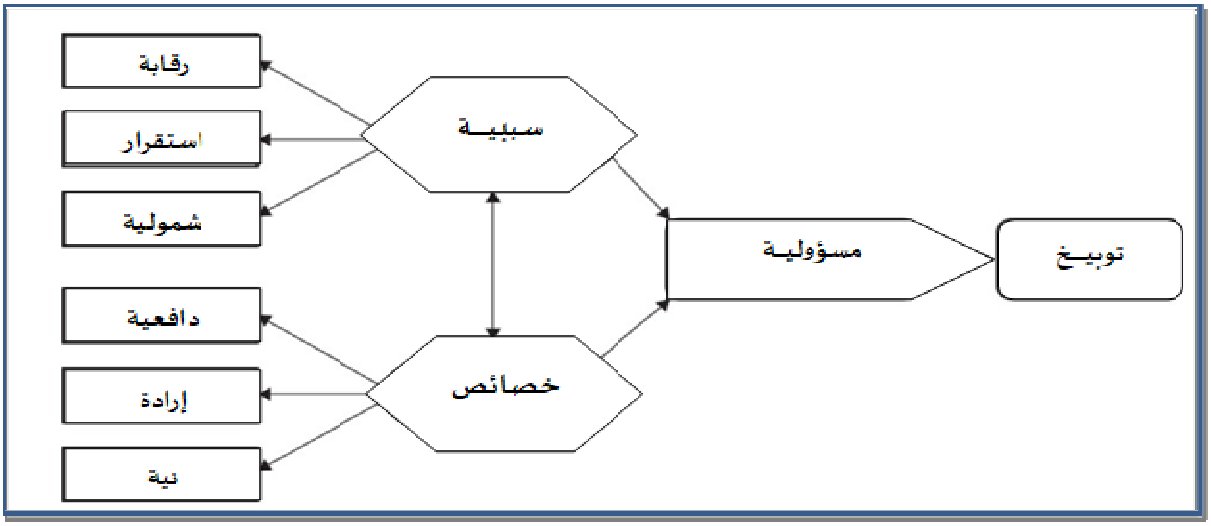

يفترض الإسناد السببي أنَّ أحد الزوجين يستدل بأسباب تسمح له بتحديد أصل السلوكات والأحداث. يشير إسناد المسؤولية إلى أنّ الشخص الذي يقوم بالإسناد يصدر حكما بشأن مسؤولية الشخص المتورط في السلوك أو الحدث الذي أدى إلى عواقب سلبية. لأجل بذلك، يستخدم معايير مختلفة للمسؤولية في محاولة لتحديد النوايا والإجراءات المتخذة والدوافع الكامنة وراء تلك السلوكات.

في الخلافات الزوجية يعتمد تحديد المسؤولية بشكل كبير على الاستدلال على النية و القصد. نتساءل عن مدى نية الإسناد: "*هل قام شريك الحياة بهذا السلوك عن قصد؟ وما هي دوافعه؟*" الإجراء المختار بحرية، يتم بنية تحقيق نتيجة معينة، على الأقل لمحاسبة مسؤولية الشريك على وجود الصراع.

بعد الإجابة على هذه الأسئلة يمكن للزوج أن يحدّد ما إذا كان يستحق أن يحاسب على سلوكه أم لا. لذلك لا يسقط عليه اللوم إذا حكم مثلا، أن شريكه تصرف بشكل متعمد وواع، معتمدا على دوافع سلبية أو أنانية، مدركا أن أفعاله غير مستحبة. وبالتالي تخضع لعواقب سلبية. اللوم يقحم الشخص الآخر بشكل مختلف، وسيأخذ إسناد اللوم هذا في الاعتبار أيضا اعتذارات ومبرّرات الزوج، بسبب مسؤوليته الأخلاقية عن العواقب السلبية غير المقبولة. (Bradbury & Fincham, 1989;

الإسناد يحدد طبيعة التفاعلات الزوجية في وضعيات مختلفة. في بداية العلاقة، عندما لا يعرف الزوجن الشريك جيدا بعد، قد يحاولان تفسير سلوكات الآخر بإسناد الدوافع أو الأسباب التي قد تكمن وراء أفعاله. نتيجة لذلك، يميلان إلى البحث عن تفسيرات غير مؤكدة لمحاولة فهم السلوك أو الدوافع. و مع زيادة معرفة الواحد للآخر، يصبح من السهل فهم سلوكات بعضهما البعض، ومن غير الضروري عزوها. نتيجة لذلك، يهدأ نشاط الإسناد إلى حدّ ما حتى ينشأ صراع، عندما تصبح العلاقة غير مستقرة، سيما عندما تزداد التوترات العلائقية، ويتم التفكير في الانفصال).

يتم تنشيط عمليات الإسناد بقوة أكبر خلال أحداث المعاش المضغوط والذي يمكن التنبؤ به (مثال: الخِطبة، الزواج، مولود جديد، ...)، أو غير متوقعة (المشاكل الصّحية، البطالة، الترقية، الخيانة الزوجية، ...).

من أجل شرح ما حدث خلال هذا الانتقال، ولمنع حدوث حالات مماثلة في المستقبل، يميل الزوجان إلى تقديم استنتاجات تعسفية قد تخفّف أو تزيد من حدة الضغط لأحدهما أو لكليهما. (Holtzworth-Munroe & Jacobson, 1985)

7. الإسناد التكيّفي الزواجي

أجمعت أهم الدّراسات حول العزو السببي الزواجي على الدور الواضح والمفسّر للعلاقة بين الإسناد والتكيّف الزواجي. (Holtzworth1Munroe & Jacobson, 1985)

يؤكد البعض الآخر على علاقة الاسنادات مع التعديل بين الزوجين (Baucom & al., 1995, 2006; Bradbury & Fincham, 1990;)، ومع الصّحة العقلية للشريك (Fincham, Beach & Bradbury, 1989)، أو مع العنف الزواجي. فضلا عن ذلك، يستخدم الأزواج الذين يعانون من ضغط معيّن (*مثلا: ولد مثاب باضطراب طيف التوحد*) عمليات إسناد مضطربة أكثر من الأزواج الذين لا يعانون من ضائقة زوجية أخرى. يمكن ملاحظة هذه الاختلافات في مراحل مختلفة من صياغة العزو.

في وجدو الضغط، يتم تنشيط إسنادات سببية سريعة. تفسّر التوترات العلائقية من خلال خصائص الشريك السلبية (***إسنادات داخلية***)، التي تكون دائمة أو مستدامة (***إسنادات مستقرة***)، والتي تنطبق على جميع الوضعيات (***إسنادات شمولية***).

أ. إنحرافات سلوك أحد الشريكين

عندما يتعلق الأمر بشرح انحرافات سلوك الزوج تجاه شريكه، تنعكس عملية الإسناد، ويتم تفسير سلوكاته بالإشارة إلى:

- **أسباب خارجية:** ("فعلت لأنه استفزني بإسقاط اللوم علي")..... => فعل ذلك عن قصد
- **وأسباب غير مستقرة:** ("أنا لست شخص مختلف، لست أنا").... => أنانية
- **أسباب نوعية:** ("أعيش أياماً صعبة") ..... => يصاب بالقلق

في مثل هكذا ضغوط بينية، يمكن لهذه الاسنادات الداخلية والمستقرة والشمولية أن تتحول بسرعة إلى أحكام على *المسؤولية*. فيستنتج الشريك أن الزوج فعل ذلك عن قصد، وأنه أخطأ من خلال الأنانية والإهمال، وأنه كان يعلم أن مواقفه أو سلوكاته ستقلقه، وأنه كان بإمكانه فعل خلاف ذلك، وأن عذره غير مقبول. وفي هذه الظروف، يستحق الزوج توبيخا وعقابا شديدين يتناسبان مع مسؤوليته، والتي تندرج في سياقين.

ب. سياقات سلوكات الشريكين

- **السلوكات الزواجية الإيجابية**

الأزواج الذين يعانون من ضائقة عرضة لإصدار إسنادات تحافظ على أو تزيد من الضيق المعاش بينهما. على وجه التحديد، استجابة للسلوك السلبي من قبل الشريك، قد يسرّع الزوجان بمهامْ مستقرة وداخلية وشمولية. وبالتالي، ينظر إلى السلوك غير السَّار من جانب الشريك على أنه نتيجة لسماته الشخصية (الداخلية)، والتي تظهر بشكل متكرر (مستقر) وتؤثر على العلاقة (الشاملة) بأكملها.

تفسير السلوكات السلبية يكون من خلال الأسباب الظرفية والخارجية والمحدّدة والعرضية (Bradbury & Fincham, 1989).

- **السلوكات الزواجية السلبية**

إذا تم الاعتراف بها، ينظر إليها على أنها ذات سبب خارجي ومحددة في طبيعتها وغير مستقرة وغير طوعية. (Sabourin & al., 1993). فالأزواج الذين يعانون من ضائقة لديهم ميل قوي لصياغة الإسنادات التي تفسر الخصائص السلبية للآخر أكثر من الإيجابية. (Holtzworth-Munroe & Jacobson, 1985). من المرجح أن يلوم أحد الأزواج الشريك بسبب دوافعه الأنانية. (Bradbury & Fincham, 1989)

ينظر إلى السلوكات الإيجابية على أنها *مستقرة وشمولية وداخلية* ويطرحها الشريك عن قصد. لذلك يمكن للزوجة الراضية عن علاقتها، والتي ستحصل على نفس الهدية التي تحصل عليها المرأة غير الراضية، أن يكون لها الإسناد التالي:

- "إنه مهتم جدا (داخلي)!
- يحاول دائما إرضائي (مستقر)
- يعينني في التكفل بطفلنا المصاب (شاملة) ...

- **سلوكات بعض النساء**

النساء اللواتي يحاسبن أزواجهن، يكنّ أكثر عرضة للسلوكات السلبية (انتقاد الشريك، ورفض وجهة نظره) على حساب السلوكات الإيجابية (التعليق بالتعاطف، دون تقييم). ويكون هذا الاتجاه أكثر وضوحا عندما يكون مستوى الضائقة الزواجية مرتفعا (Miller & Bradbury, 1995).

تلعب الإسنادات السلبية دورا هاما في مهارات التعلّق والتواصل لدى الزوجين (Peace & Halford, 2008). وبالتالي، يبدو أن *التعلّق غير الآمن*، *L'attachement insécure* وخاصة لدى النساء، يزيد من احتمال صياغة إسنادات سلبية تؤثر، في بعض الحالات، على أسلوب التواصل لكل شريك.

تتوسط الإسنادات السلبية بين نقاط الضعف الشخصية (*المعادية للمجتمع، والعدائية، والاكتئاب*) والصراعات الزوجية، مما يؤثر بدوره على تكرار السلوكات العنفية. (Marshall, Jones & Feinberg, 2011)

يبدو أن العلاقة بين الإسنادات والسلوكات أقوى بين النساء منها مقارنة بأزواجهن، الذين لا ترتبط الإسنادات السببية بالنسبة لهم دائما بسلوكاتهن (Miller & Bradbury, 1995). يسند البعض (Acitelli, 1992) هذا الاختلاف بين الجنسين إلى أنّ النساء أكثر انتباها للتفاصيل في التفاعلات الشخصية، مقارنة بالرجال الأقل حساسية تجاههن والذين يبنون تقييمهم على الوضع برمته ومشاعرهم. ومع ذلك، لا يجد باحثون آخرون فرقا بين الذكور والإناث في العلاقة بين الإسنادات والسلوكات في التفاعلات الثنائية .(Osterhout, Frame & Johnson, 2011)

في حين أن إسنادات أحد الزوجين قد تكون مرتبطة بسلوكه أو رضاه الزواجي، فقد اختبر الباحثون ما إذا كانت هذه الإسنادات مرتبطة برضى أو سلوك الشريك الآخر. إذا أرجع أحد الزوجين المسؤولية إلى سلوك الشريك، فقد يضاعف هذا من الصراع الزواجي.

في حالات الصراع على وجه الخصوص، يبدو أن الإسناد يؤدي دورا رئيسيا في تفسير التقلبات في نوعية العلاقة الزواجية. ويرتبط استخدام الصلاحيات بتقليل استخدام مهارات حل المشاكل في حالات الصراع؛ وهذا صحيح بشكل خاص فيما يتعلق باستنتاجات المرأة للمسؤولية (Miller & Bradbury, 1995). وعلاوة على ذلك، فإن مهارات حل

النزاعات هذه، التي تهدف إلى التركيز بشكل بناء المشكلة، واستكشاف الحلول الممكنة، واتخاذ نهج تفاوضي، والنظر في وجهة نظر الآخر، والاعتراف بمساهمتها في المشكلة، تستخدم أيضا بشكل أقل فعالية بين النساء.

ج. الرضى الزواجي

لا تركز المعتقدات حول العلاقات الزواجية على الحب والرضى الزواجي والالتزام (Sprecher & M&ts, 1999) فحسب، بل يمكنها أيضا التأثير على مسار العلاقة يدعم الإيمان بالقدر ("المكتوب")، الذي يفترض أن شخصين من المفترض أن يكونا معا أو لا.

الرضى الزواجي يكون أعلى لدى الأزواج حيث يشعر كلا الشريكين الواحد قريب من الآخر. إنهما يحافظان على هذا التقارب من خلال استنباط إسنادات إيجابية وتفسير إيجابي، أو تُدرك على أنها سلبية لدى الشركين المتعثرين.

الإسنادات تؤثر على الرضى الزواجي، وليس الرضى هو الذي يحدّد الإسنادات المصاغة (Fincham & al., 2001). ومع ذلك، فإنّ فرضية وجود علاقة سببية بين الإسنادات ومستوى الرضى الزواجي لم يتم تحديدها بوضوح. فهي تستحق الدّراسة. لكنّها علاقة تعمل بشكل تفاعلي، لأنها تؤثر على السلوكات الزواجية وسيكون لهذه السلوكات لاحقا تأثير على رضى الزوجين.

بالنسبة للمتزوجين حديثا، قد ينبئ إسناد المسؤولية بجودة العلاقة الزوجية كلّما طال عمر الزواج. وقد حدّدها البعض(Durtschi & al, 2011) ابتداء من أربع سنوات. بسبب تأثيرها على سلوكهما. من المحتمل أن تستخدم أنماط التفاعل هذه لتقييم مستوى الرضى عن العلاقة وراحة كل شريك.

8. مناقشة

استنادا إلى نتائج البحث في السياق النفسواجتماعي، والعلاج النفسي للقلق والاكتئاب ، والعلاج النفسي الزواجي مع مقاربات معرفية. في البداية، من وجهة نظر سلوكية نلاحظ الحاجة والضرورة إلى تغيير التفاعلات والسلوكات الزوجية (Jacobson, 1979; Waltz & Jacobson, 1994). فضلا عن ظهور العديد من النماذج النظرية والمفاهيمية حول السلوكات لدى الزوجين.

رأينا أهمية فعالية المكون المعرفي في علاج الضغوط والمشاكل الزواجية المختلفة. و دور العلاج السلوكي المعرفي للزوجين. سيما في خفض الإسناد السلبي للأزواج، وزيادة في رضاهم وانخفاض في تواصلهم السلبي (Hrapczynski & al., 2011). فنؤكّد بصفة دالة علاج العنف الزواجي من خلال تغيير الإسنادات السلبية للأزواج في سياق الحياة الزوجية. من ناحية الفروقات الصراعية بين الزوجين، توجد في الغالب نسبة كبيرة من التباين في الصراع الزواجي (63٪ للرجال و56٪ للنساء) تُعزى إلى الإسنادات الزواجية السلبية. (Davey & al., 2001)

يمكن اعتبار إعادة البناء المعرفي يعد هدفا لمساعدة الأزواج على تغيير معتقداتهم غير العقلانية. على سبيل المثال في الدول الغربية لا توجد أدلة واقعية على فعالية التدخلات التي تهدف إلى التغيير المعرفي لدى الأزواج، عكس دول العالم الاسلامي التي تمنح فرص للتصالح بدءا بأولياء الزوجين. وهو الشيء المفقود لدى الغرب.

كما قال الله عزّ وجلّ: "**وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَآ إِنْ يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ، إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا**".[2]

بالنسبة للعلاج السلوكي المعرفي يبقى نموذجا متكاملا لعِلاج وتغيير سلوكات الأزواج من خلال التدخل في مدركاتهما وانفعالاتهما. حيث تتفاعل هذه العناصر الثلاثة لتفعيل جودة واستقرار العلاقة (Epstein & al., 2008; Wright & al., 2008).

الإسنادات السلبية تعيق تحقيق أهْداف العلاج (Beach & Bauserman, 1990). لأنّ الاسنادات السلبية لأحدهم تضعف التغيير وإن وجدت اسنادات ايجابية للآخر (Holtzworth-Munroe & Jacobson, 1985). ("*لا يعينني في التكفل بطفلي المصاب، فقط لأنّه يتوارى أمام أمّه*".) . يمكن لهذا النوع من الإسناد أن يثبط التغيّرات السلوكية.

في حالة الخيانة الزوجية الإسنادات يمكنها زيادة خطر الانفصال، في هذا الشأن نقترح ضرورة تدخل المعالجين أولا في تحديد الإسنادات قبل الشروع في المصالحة بين الزوجين.

لكن، تبقى دائما (في حالة تأكيد الفعل) تبريرات الشريك الخائن غير مقنعة، ونفترض بأنّها دالة في الانفصال التام، إن لم يتم انتقال الشريك إلى الفعل تجاه الشريك الآخر، أو تجاه الذات. هنا يبدو كل الاسنادات انصهرت.

[2] الآيَةَ 35، سُورة النساء.

9. خاتمة

يتأثر الأداء الزواجي بسبب تعقيد وتعدّد المتغيرات الخاصة بكل شريك (سيما، التاريخ الشخصي، والشخصية، سوابق الحب، والصحة الجسدية والنفسية،...)، وللزوجين (الأحداث المهمة، وطول عمر العلاقة، وقواعد العلاقة،...).

لقد تم التطرّق إلى بعض العناصر المعرفية التي تؤثر على تفاعلات الزوجين: والمعتقدات، والمعايير، والإسنادات. ثم عرضنا الكشف عن آثار الإسنادات على التكيف الزواجي للزوجين. وبعدها تأثير العمليات المعرفية على العمليات التكيفية للزوجين، وعرض التطبيقات العيادية في سياق العلاج النفسي الزواجي، بهدف تعديل المعرفيات والمدركات.

جملة الدّراسات تؤكّد العمليات المعْرفية التي تحكم تفاعلات الزوجين وتطور العلاقة الزواجية بشكل أساسي. نقص الدّراسات التي تشرح التدخلات المعرفية في العلاج النفسي للزوجين. يمكن أن نوجه البحث العلمي في علم النفس المعرفي وعلم الأعصاب، أو كما أشار له "دوري و "زيروبافيل" و أوكنر". (Doré, Zerubavel & Ochsner, 2015)

في هذا الصدد نشير إلى ضرورة الاهتمام بالعزو السببي وطرائقه، فضلا عن تقديم فحوصات طبية متقدّمة بخصوص اختلالات عقلية والتي تنبئ باختلال العمليات المعرفية العليا (العقلنة والملاحظات، واتخاذ القرار، والشك، والثقة،...). بعدها ننتقل إلى فهم المحيط الثقافي الذي ينتمي غليه الزوجين. نفترض كلّما كان مسافة التباعد الثقافي والديني والاجتماعي كبيرة، كلّما كانت الاسنادات متباعدة، وبالتالي الصراع والخلاف كبير، والتغيير صعب. وهنا يمكن الرجوع إلى أساليب متنوعة من العلاج المعرفي قبل البدء في العلاج السلوكي. أمّا إذا تطابق السياقين الثقافيين لهما، يمكن الرجوع إلى العلاج السلوكي.

مراجع

Abramson, L. Y., Seligman, M. E. et Teasdale, J. D. (1978). Learned helplessness in humans: Critique and reformulation. Journal of Abnormal Psychology, 87, 49-74.

Bateson, G. (1977). *Vers une écologie de l'esprit*. Seuil, Paris

Baucom, D. H. et Wright, J. (2008). L'évaluation et la modification des cognitions en thérapie conjugale: une approche cognitive-comportementale contextuelle. Dans J. Wright, Y. Lussier et S. Sabourin (dir.), Manuel clinique des psychothérapies de couple (p. 313-360). Québec: Presses de l'Université du Québec.

Baucom, D. H., Epstein, N. B., Kirby, J. S. et LaTaillade, J. J. (2015). Cognitive-behavioral couple therapy. Dans A. S. Gurman, J. L. Lebow et D. K. Snyder (dir.), Clinical Handbook of Couple Therapy (5 e éd., p. 23-60). New York: Guilford Press.

Baucom, D. H., Epstein, N. et Rankin, L. A. (1995) Cognitive aspects of cognitive-behavioral marital therapy. Dans N. S. Jacobson et A. S. Gurman (dir.), Clinical Handbook of Couple Therapy (p. 65-90). New York: Guilford Press.

Baucom, D. H., Epstein, N. et Stanton, S. (2006). The treatment of relationship distress: Theoretical perspectives and empirical findings. Dans A. L. Vangelisti et D. Perlman (dir.), The Cambridge Handbook of Personal Relationships (p. 745 à 794). New York: Cambridge University Press

Bodenhausen, G. V., Morales, J. R. (2013). Social cognition and perception. Dans H. Tennen, J. Suls et I. B. Weiner (dir.); Handbook of Psychology, Vol. 5: Personality and Social Psychology (2 e éd., p. 225-246). Hoboken: John Wiley et Sons.

Capdeville, B. (2013). Les évolutions contemporaines de la famille et leurs conséquences en matière de politiques publiques.

Davey, A., Fincham, F. D., Beach, S. R. H. et Brody, G. H. (2001). Attributions in marriage: Examining the entailment model in dyadic context. Journal of Family Psychology, 15, 721-734.

De Neuter, P., & Bastien, D. (2007). *Clinique du couple*. Toulouse: Érès.

Doré, B. P., Zerubavel, N. et Ochsner, K. N. (2015). Social cognitive neuroscience: A review of core systems. Dans M. Mikulincer, P. R. Shaver, E. Borgida et J. A Bargh (dir.), APA Handbook of Personality and Social Psychology, Vol. 1: Attitudes and Social Cognition (p. 693-720). Washington: American Psychological Association.

Drory, D. (2009). *L'enfant et la séparation parentale*. Bruxelles: Yapaka.

Durtschi, J. A., Fincham, F. D., Cui, M., Lorenz, F. O. et Conger, R. D. (2011). Dyadic processes in early marriage: Attributions, behavior, and marital quality. Family Relations, 60, 421-434.

Fincham, F. D. et Bradbury, T. N. (1989). The impact of attributions in marriage: A individual difference analysis. Journal of Social and Personal Relationships, 6, 69-85.

Guéguen, N. (2014). *Psychologie de la séduction*. Paris: Dunod.

Hallama, P. (2020). Histoire de la paternité aux XIX^{e} et XX^{e} siècles. from https://ehne.fr/fr/encyclopedie/th%C3%A9matiques/genre-et-europe/de-la-transition-d%C3%A9mographique-aux-r%C3%A9volutions-sexuelles/histoire-de-la-paternit%C3%A9-aux-xixe-et-xxe-si%C3%A8cles

Hirigoyen, M.-F. (2007). *Les nouvelles solitudes*. Paris: La Découverte.

Horney, K. (1978). *La psychoplogie de la femme*. Paris: Payot.

Laberge, G., Lussier, Y., & Sabourin, S. (2017). Rôle des processus cognitifs en psychologie du couple. In Y. Lussier, C. Bélanger, & S. Sabourin, Les fondements de la psychologie du couple (pp. 216–227). Presse de l'université du Québec.

Larousse, P. (2018). *Dictionnaire*. Paris: Larousse.

Lemay, M. (1994). Les conséquences de l'abandon sur le développement psychosocial de l'enfant et dans ses relations personnelles et sociales. *RDUS, 25*(12), 3-24.

Loonis, E. (1995). La suppléance familiale : les difficultés du triangle Famille-Enfant-Institution. *Le Nouveau Mascaret*(35), 24-37.

Lussier, Y., Bélanger, C., & Sabourin, S. (2017). *Les fondements de la psychologie du couple*. Québec: Presses de l'Université du Québec.

Lussier, Y., Sabourin, S. et Wright, J. (1993). On causality, responsibility and blame in marriage: Validity of the entailment model. Journal of Family Psychology, 7, 322-332.

Marmion, J.-F. (2012). Histoire de la psychologie. Sciences Humaines.
Marshall, A. D., Jones, D. E. et Feinberg, M. E. (2011). Enduring vulnerabilities, relationships attributions, and couple conflict: An integrative model of the occurrence and frequency of intimate partner violence. Journal of Family Psychology, 25, 709-718.
Miller, G. E. et Bradbury, T. N. (1995). Refining the association between attributions and behavior in marital interaction. Journal of Family Psychology, 9, 196-208.
Osterhout, R. E., Frame, L. E. et Johnson, M. D. (2011). Maladaptive attributions and dyadic behavior are associated in engaged couples. Journal of Social and Clinical Psychology, 30, 787-818.
Peace, Z. J. et Halford, W. K. (2008). Do attributions mediate the association between attachment and negative couple communication? Personal Relationships, 15, 155-170.
Sabourin, S., Lussier, Y., Simoneau, A. et Wright, J. (1993). La motivation en contexte naturel: la théorie de l'attribution et les problèmes du couple. Dans R. J. Vallerand et E. E. Thill (dir.), Introduction à la psychologie de la motivation (p. 512-532).
Samuel, O. (2009). *En quête d'appartenance*. Paris: Ined Éditions.
Scott, E. (2020) : Common Marriage Problems and Solutions. Retrieved on the 26th
of July, from: https://www.verywellmind.com/common-marriage-problems-and-solutions-3144958
Simpson, J., & Rholes, W. (2015). *Attachment Theory and Research: New Directions and Emerging Themes*. New York: Guilford Press.
Sprecher, S. et Metts, S. (1999). Romantic beliefs: Their influence on relationships and patterns of change over time. Journal of Social and Personal Relationships, 16, 834-851.
Van Meerbeeck, P. (2003). *L'infamille ou la perversion du lien*. Bruxelles: De Boeck.